بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الجمعة

ولادة سيدنا عيسى المسيح عليه السلام

إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونستعينه ونستهديه ونشكره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأصلي وأسلم على سيدنا محمدٍ وعلى ءاله وصحبه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا مثيل له ولا ضدَّ ولا ندَّ له ولا والدَ ولا ولدَ ولا صاحبةَ له، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وقائدنا وقرّة أعيننا محمدًا عبده ورسوله وصفيه وحبيبه، صلى الله وسلم عليه وعلى كل رسول أرسله.

أما بعد عباد الله، فإني أوصيكم ونفسي بتقوى الله العليّ القدير القائل في محكم كتابه ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾[1].

إخوة الإيمان، يطيب لنا اليوم أن نتكلم عن نبيّ عظيمٍ من أُولي العزمِ خَصَّهُ اللهُ بميزة عظيمةٍ بأن خَلَقَه اللهُ من غير أبٍ وما ذاك بعزيزٍ على الله فقد خلق أبانا ءادمَ عليه السلامُ من غيرِ أبٍ وأمٍ، قال تعالى في القرءانِ الكريمِ ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾[2].

---

[1] سورة ءال عمران/ ٤٥ - ٤٦.

[2] سورة ءال عمران/ ٥٩.

وأمُّ سيدنا عيسى أيها الأحبة هي السيدةُ مريمُ عليها السلامُ أفضلُ نساءِ الدنيا التي وصفَها اللهُ تعالى في القرءان الكريم بالصّدّيقةِ والتي نَشَأَتْ نَشْأَةَ طُهرٍ وعَفافٍ وتَرَبَّتْ على التقوى تُؤَدّي الواجباتِ وتجتنب المحرمات وتُكثِرُ منْ نوافلِ الطاعاتِ والتي بَشَّرَتْها الملائكةُ باصطفاءِ اللهِ تعالى لها منْ بين سائرِ النساءِ وبتطهيرِها من الأدناسِ والرذائلِ.

﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾[1].

والملائكةُ إخوةَ الإيمانِ ليسوا ذُكورًا ولا إناثًا بل هم عبادٌ مكرمونَ خُلِقوا من نورٍ وقد يتشكّلونَ بهيئةِ الذُّكورِ من دونِ أن يكون لهم ءالة الذكورية، وعلى هذه الهيئة أرسلَ اللهُ سيدَنا جِبريلَ عليه السلامُ يومًا إلى السيدةِ مريمَ مُتشكّلاً بشكلِ شابّ أبيضِ الوجهِ فلَمّا رأتْ سيدتُنا مريمُ جبريلَ عليه السلام مُتشكّلاً في صورةِ رجلٍ أبيضِ الوجهِ لم تعرفْه ففزِعتْ منه واضطَرَبَت وخافتْ على نفسِها منه وظنَّتْهُ إنسانًا جاءَ ليعتديَ عليها، فقالت ما أخبرَ اللهُ به ﴿قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾﴾[2] أي إن كنت تقيًّا مطيعًا فلا تتعرضْ لِي بسوء فقالَ لها إنَّ اللهَ أرسلَه إليها ليهبَها ولدًا صالحًا طاهرًا منَ الذنوب فقالت مريم أنَّى يكونُ لي غلامٌ ولم يَقْرَبْنِي زوجٌ ولم أكنْ فاجرةً زانيةً؟ فأجابها جبريلُ عليه السلامُ عن تعجّبِها بأنَّ خَلْقَ وَلَدٍ من غيرِ أبٍ هَيّنٌ على الله تعالى وأنّ الله سيجعلُهُ علامةً للناس ودليلاً على كمالِ قدرته سبحانه وتعالى ورحمةً ونعمةً لمنِ اتّبعَه وصدّقَه وءامنَ به.

---

[1] سورة ءال عمران/ءاية ٤٢.

[2] سورة مريم/ءاية ١٨.

﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾[1].

نفخَ إخوةَ الإيمان جبريلُ عليه السلام في جيبِ دِرعِ السيدةِ مريمَ وهي الفتحةُ التي عند العُنُق فحملتْ بعيسى عليه السلامُ ثم تَنَحَّتْ بِحَملِها بعيدًا خوفَ أن يُعَيِّرَها الناسُ بولادتها من غير زوج، ثم ألجأها وجعُ الولادة إلى ساقِ نخلةٍ يابسةٍ وهناك خوفًا من أذى الناس تَمَنَّتِ الموتَ فناداها جبريلُ عليه السلام من مكانٍ من تحتها من أسفلِ الجبل يُطَمئِنُها ويخبرها أنّ الله تبارك وتعالى جعل تحتها نهرًا صغيرًا ويقول لها أن تهُزَّ جذع النخلةِ ليتساقطَ عليها الرُّطب الجنيّ الطريّ وأن تأكلَ وتشرب مما رزقها الله وأن تقرّ عينُها وأن تقول لمن رءاها وسألها عن ولدها إني نذرت للرحمن أن لا أكلّم أحدًا وكان هذا نذرًا صحيحًا في الشرائع السابقة.

ثم بعد الولادة المباركة أيها الأحباب أتتِ السيدة مريم عليها السلام قومَها تحمل مولودَها عيسى عليه الصلاة والسلام كما أخبرنا الله عز وجل ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾﴾[2]

قال لها قومها لقد فعلتِ فِعلةً منكرةً عظيمة، ظنوا بها السوءَ وصاروا يوبخونها ويُؤذونها وهي ساكتةٌ لا تجيبُ لأنها أخبرتهم أنها نَذَرتْ للرحمن صومًا، ولما ضاقَ بها الحالُ

---

[1] سورة مريم/ءاية ٢٢-٢٦.

[2] سورة مريم/ءاية ٢٧.

أشارتْ إلى عيسى عليه السلامُ أنْ كلّموه، عندها قالوا لها ما أخبرَ اللهُ به بقولِهِ ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾﴾[1] عند ذلك إخوةَ الإيمانِ أنطق الله تعالى القادرُ على كل شيء بقدرته سيّدَنا عيسى عليه السلام وكان رضيعًا فقال ما جاء في القرءان الكريم ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ أنطقه الله في المهد فكانت أول كلمة قالها عليه السلام ﴿ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ اعترافًا بعبوديّته لله الواحد القهار ﴿ءَاتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ أي جعلني نفّاعًا معلّمًا للخير حيثما توجهتُ ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾[2] ونشأ عيسى عليه السلام نشأة حسنة فحفظ التوراة في الكُتّاب وعمل بشريعتها حتى أنزل الله عليه الوحي فخاطب بني إسرائيل قائلاً ما أخبر الله في القرءان العظيمِ ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾[3] فدعا عيسى قومَه كسائرِ الأنبياءِ والمرسلينَ إلى الإسلامِ إلى عبادةِ اللهِ وَحْدَهُ وعدمِ الإشراكِ بهِ شيئًا ولكنهم كذّبوه وحَسَدُوهُ وقالوا عنه ساحرٌ ولم يُؤْمِنْ بِهِ إلا القليلُ وءاذَوْهُ وسَعَوْا إلى قتلِهِ لكن الله حفِظه ورفَعه إلى السماءِ كما جاءَ في القرءانِ الكريمِ.

---

[1] سورة مريم/ءاية ١٩.

[2] سورة مريم/ءاية ٣٠-٣٣.

[3] سورة الصف/٦.

وقد بَشَّرَ سيدُنا عيسى عليه السلام كغيرِهِ من رُسُلِ اللهِ بخاتَمِ الأنبياءِ سيدِنا محمدٍ عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم وأوصى أتباعَه باتّباعِهِ ونُصْرَتِهِ إن أدركوه وقد روى أبو سعدٍ النيسابوريُّ في كتابِهِ شرف المصطفى أن أربعةَ أشخاصٍ خَرَجوا من اليمن قاصدين مكَّة في أول بعثةِ سيدنا محمدٍ صلى الله عليه وسلم من بَيْنِهِمْ رجلٌ يُدعى جَعْدَ بنَ قيس الْمُراديَّ فأدرَكَهم الليلُ في البريةِ فنَزلوا في أرضٍ فناموا إلا جَعْدَ بنَ قيسٍ الْمُراديَّ فسمعَ جعدٌ هذا هاتفًا لا يَرَى شخصَهُ يقول له

ألا أيها الركبُ المعرّسُ بلّغُوا إذا ما وصلتم للحطيم وزمزَما

محمدًا المبعوثَ منا تحيَّةً تُشَيّعُه من حيثُ سار ويَمَّما

وقولوا له إنّا لِدِينِكَ شِيعةٌ بذلك أوصانا المسيحُ ابنُ مريما

فهذا الهاتفُ أيها الأحبة جِنّيٌّ مؤمنٌ أدركَ سيدنا عيسى عليه السلام قبل رفعه إلى السماءِ وءامنَ به وسمِعَ منه وصيَّته بالإيمانِ بمحمدٍ إذا ظَهَرَ واتّباعِه، فأوصى هذا الجنيُّ جَعْدًا بأن يبلّغَ سلامَهُ إلى سيدِنا محمدٍ إذا ما بلغَ مكةَ فلما وصلوا إلى مكةَ سألَ أهلَ مكةَ عن محمدٍ فاجتمعَ به وءامنَ به وأسلمَ وكانَ هذا قبل أن ينتشرَ خبرُ سيدِنا محمدٍ صلى الله عليه وسلم في الجزيرةِ العربيةِ فصلى الله على سيدِنا محمدٍ وعلى سائر إخوانه من النبيين والمرسلين وفي هذه القصة زيادة بيان أن عيسى عليه السلام جاء بدين الإسلام كباقي أنبياء الله تعالى كما روى البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال **الأنبياء إخوة لعَلاّت دينهم واحد** – أي الإسلام- **وأمهاتهم شتّى** – أي شرائعهم مختلفة- **وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم ليس بيني وبينه نبي** اهـ

هذا وأستغفر الله لي ولكم